Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤

إذا شئنا ألا نستسلم لإغراء الخرافات والأساطير، فإننا لن نعثر على أثر هام لمصالح فرانز كافكا السياسية؛ وبهذا المعنى تميّز عن كل أصدقائه البراغيين، من ماكس برود وفرانز فيرفيل وإيغون إرفين كيش، إلى جميع الطلائع التي كانت بزعمها معرفة وجهة التاريخ تسعد بذكر وجه المستقبل.

كيف حدث إذن أن يكون بوسعنا أن نتلقى اليوم لا عمل هؤلاء، بل عمل رفيقهم المتوحّد، المنطوي على نفسه، المنكب على حياته وفنّه، بوصفه نبوءة اجتماعية سياسية، محرمة ـ بسبب ذلك ـ في جزء كبير من العالم؟.

فكرت ذات يوم بهذا السرّ بعد أن حضرت مشهداً صغيراً لدى صديقة قديمة لي. لقد اعتقلت هذه المرأة خلال المحاكمات الستالينية في براغ عام ١٩٥١ وأدينت بسبب جرائم لم ترتكبها. وقد وجد مئات الشيوعيين في تلك الحقبة أنفسهم في وضعها. كانوا قد تماهوا طوال حياتهم كلياً في حزبهم. وعندما صار هذا الحزب هو من يتهمهم، قبلوا، على غرار جوزيف ك «النظر في حياتهم الماضية حتى في أدق التفاصيل» كيما يعثروا على الخطأ المستور، وكيما يعترفوا، في النهاية، بجرائم وهمية، بيد أن صديقتي نجحت في أن تنقذ حياتها لأنها رفضت، بفضل شجاعتها الخارقة، أن تخضع شأن رفاقها وشأن الشاعر (س) لعملية «البحث عن خطيئتها». وبما أنها رفضت، بذلك، مساعدة جلاّديها، فقد صارت غير صالحة للاستعمال في المشهد الأخير من المحاكمة. وهكذا حُكِم عليها بالسجن المؤبد بدلاً من الإعدام.